

القدس مدينة العرب والمسلمين التاريخية

خالد مدوح العزي *

بظل الهجمة الاستيطانية الشرسة التي تمارسها قوات الاحتلال الصهيوني على فلسطين وشعبها عامة والقدس خاصة، تبقى مدينة القدس نقطة الصراع الاساسية مع العدو، الذي يمارس بدوره كل انواع الغطرسة والعنجهية الدولية مخترقا كل الاعراف والقوانين الدولية من اجل تحقيق حلم لم تستطع كتب التاريخ و علماء الاثار اثباته. فالحلم المزعوم يفشل يوميا، بالرغم من الحفر اليومي، والتهويد المنهج والمستمر لأحياء مدينة القدس، في محاولة لطمس كل الحقائق والمعالم الاثرية والحضارية والتاريخية لهذه المدينة، من خلال البناء العشوائي وتدمير البيوت والإحياء، والتهجير القسري لتغيير المعالم الديمغرافية وإعطاء صبغة غير قانونية وغير صادقة عن طبيعة مدينة القدس ذات الطابع العربي والإسلامي العريق، وتحويلها الى مدينة يهودية متطرفة تسيطر عليها زمر صهيونية حاقدة على التاريخ والجغرافيا. لذلك لا يمكن متابعة النضال العربي والإسلامي بوجه هذه الهجمة الشرسة التي تمارس ضد الشعب الفلسطيني من قبل عصابات القتل الجديدة الا من خلال قولنا جميعا لهم بأن القدس... لنا... القدس... لنا... وفلسطين لنا... فهي رمز تاريخي، عقائدي سياسي ونضالي للمسلمين وللعرب.

القدس معاناة مستمرة

تعاني القدس من منع المصلين من أداء صلاتهم يوم الجمعة، إلى منع المعتقلين المقدسيين بالبقاء في مدينتهم شرطا اساسيا في الافراج عنهم من المعتقلات العبرية، اضافة الى منع الاهالي من تشييد منازلهم التي ورثوها قبل قدوم الصهاينة الى فلسطين واحتلالها مرورا باغتيال الفتى محمد ابو خضيرة في مدينة القدس من قبل عصابات الاستيطان، وصولا الى محاصرة المسجد الأقصى المستمرة منذ زمن والانتهاكات اليومية لحرمة الأقصى والأهالي من قبل المستوطنين اليهود ومباركة الدولة الصهيونية والدفاع المميت للمصلين العرب المسلمين في داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة، والتي ترتكب يوميا ابشع المجازر

(*) باحث في العلاقات
الدولية.
dr_izzi2007@Hotmai
l.com

الشنعاء بحقهم، مروراً بالحصار البشع المفروض عليهم. وبالرغم من كل هذه المحاولات الصهيونية، فالقدس لم يثبت قبل منتصف القرن التاسع عشر أنه كانت لليهود أية اهتمامات خاصة فيها^(١)، ولم تكن هناك أية ممارسات لليهود قبل هذا التاريخ تدل على ارتباطات دينية مقدسة. وهذا يؤكد أن محاولات الحركة الصهيونية والدولة اليهودية الهادفة إلى تضخيم العلاقة اليهودية بالقدس في هذا العصر مدفوعة بحسابات سياسية محضة، وليس لها ما يبررها من الناحية التاريخية أو الدينية، لذا لجأوا إلى الحفريات الأثرية بشكل واسع في القدس، وعملوا على طمس المعالم التاريخية العربية والإسلامية لشرعنة الاحتلال وفي محاولات يائسة منهم لإثبات بأن لهم حقاً تاريخياً، وذلك بتزوير المكتشفات الأثرية، كما لجأوا إلى بناء الكنس والادعاء بوجود الهيكل المزعوم في الحرم القدسي الشريف، وذلك للإدعاء بأن لهم حقاً دينياً في مدينة القدس ومن أجل ذلك فإن السلطات الاسرائيلية قامت ولا تزال بهدم المعالم التاريخية والأثرية الخاصة بالمسلمين والمسيحيين في مدينة القدس، فقد هدمت مئات العقارات الاسلامية في البلدة القديمة من أجل بناء حي سكني يهودي على أنقاضها. كما تقوم تحت ذريعة مشاريع تنظيم المدينة بهدم وإزالة أحياء عربية قائمة أو جزء منها، كما تقوم بهدم البيوت القديمة بذريعة عدم صلاحيتها للسكن .

وفي عملنا هذا كان لابد من الإشارة الى ثلاث حوادث يجب التوقف عندها في كتابة هذا المقال (النكبة، حرق المسجد الأقصى، وانتفاضة الأقصى). نسترجع الماضي القاسي بأسى ومرارة لكننا لا نستطيع إلا التشديد عليها بلوعة في كل عام لما لها من آثار سلبية في نفوس العرب عامة و المسلمين خاصة لأن فلسطين وشعبها وترابها و قدسها عالية على قلوبنا جميعاً. لقد احتفلنا بيوم النكسة وخسارة فلسطين في ١٢ ايار/مايو ١٩٤٨ واحتفل اليهود بيوم النصر. في ٢١ آب/أغسطس. تمر علينا ذكرى ثانية في فلسطين، اربعون عاماً عام على حرق "المسجد الأقصى" ومقدسات الاسلام. وفي ايلول/سبتمبر الذكرى العاشرة لانتفاضة الأقصى وتدنيس الحرم الشريف من قبل اعلى رمز في السلطة الصهيونية لذا توجب علينا أن نمثل لأمر ربنا في التذكير (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)^(٢) بأهمية وتاريخ "القدس والمسجد الأقصى".

لم يستحدث اليهود في تاريخ حياتهم كلها قرى أو مدناً خاصة بهم في هذه البلاد (فلسطين). لقد احتل اليهود المدن الكنعانية وعاشوا فيها مع أهلها، وكجزء منها. فهم عبارة عن بدو رحل ورعاة، فلم يكونوا في يوم من الأيام أصحاب حضارة تساعدهم على استحداث نماذج من المدن تشابه أو تتفوق على النماذج التي وجدوها قائمة على الأرض في فلسطين، وخلال حقبة طويلة من الزمن بعد هذا التاريخ عاش اليهود في فلسطين والقدس كأقلية، كما عاشوا في جميع الأقطار العربية والاسلامية وفي أقطار متعددة من

(١) السيد احمد، قراءة في مشروع القدس الكبرى في الخطة الاستراتيجية والهيكلية لبلدية القدس. المعهد العربي للبحوث والدراسات الإستراتيجية. <http://www.qoob.com/showthread.php?t=33>
310
(٢) سورة الذاريات، آية ٥٥

العالم، واستمر هذا الحال إلى أن ظهر من يدعو إلى إنشاء كيانات سكنية خاصة بهم وحدهم. وكان من أوائل أثرياء اليهود الذين عبروا عن هذا التوجه (موشي مونتيفيوري) وذلك عام (١٨٥٩م) حيث كانت المستوطنة الأولى التي بنيت بالقدس والمستوطنة اليهودية الأولى على مستوى فلسطين بأكملها، وسميت بالنسبة إليه وكانت بحق بداية لعملية منهجية في إدخال هوية جديدة للأراضي الفلسطينية.

تاريخ فلسطين

يكتب د. هایل صندوقة الباحث في شؤون الاستيطان في مدينة القدس وأمين سر جمعية القدس للرفاه والتطوير في كتابه: "طمس المعالم التاريخية للقدس" (ص ٢٠٧)، بأن فلسطين كانت كغيرها من الأقطار العربية تخضع لسيطرة الدولة العثمانية، والتي كانت في حالة ضعف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استغله الأوروبيون واليهود الطامعون. فمنذ عام (١٨٧٨م) قام اليهود بإطلاق أسماء عبرية توراتية على المواقع الفلسطينية في عملية تهويد شاملة وجذرية لأسماء البلدات والقرى والأنهار والشوارع والسهول والآبار، وذلك بتسجيل هذه الأسماء على الخرائط والكتب وادخالها إلى الاستخدام في الحياة اليومية، وعملت على تثبيتها على الخرائط التي تصدرها الأمم المتحدة.

وبعد عقد المؤتمر الصهيوني في مدينة بازل في سويسرا عام (١٨٩٧م) وفي أوائل القرن العشرين، قامت الحركة الصهيونية عام (١٩٢٢م) بتأسيس لجنة سمتها (اللجنة الاسرائيلية للاسماء الجغرافية) لتساعد المهاجرين اليهود على اختيار اسماء المستعمرات التي كانوا ينشئونها على الأراضي الفلسطينية، وقد تم ما بين عامي (١٩٢٢ و ١٩٤٨م) تغيير أسماء نحو (٢١٦) موقعاً فلسطينياً.

وفي أثناء قيام الدولة الاسرائيلية ما بين عامي (١٩٤٨ - ١٩٥١م) تم تغيير أسماء (١٩٨) موقعاً فلسطينياً، ثم تحولت اللجنة الاسرائيلية التي أنشئت عام (١٩٢٢م) في عام (١٩٥١م) إلى لجنة حكومية رسمية تم ضمها إلى ديوان رئيس الحكومة الاسرائيلية، وتضم هذه اللجنة مختصين بالجغرافيا والتاريخ والآثار، وقد غيرت في الفترة ما بين (١٩٥١-١٩٥٣م) (٥٢٠) اسماً عربياً إلى اسماء عبرية، واستمر التهويد وبناء المستوطنات وتغيير أسماء القرى والمدن والسير بسياسة التمييز القومي والديني وسياسة العدمية للعرب والمسلمين، ومن الشواهد على هذه السياسة فقد عمل الصهاينة المغتصبون على تغيير أسماء القرى والمدن العربية التي دمرتها آلية التهجير. فكل قرية وكل مدينة في الضفة الغربية محاطة بعدة مستوطنات إسرائيلية تحمل مسميات عبرية أي أن معظم أسماء المواقع الجغرافية على أراضي السلطة الفلسطينية هي أسماء عبرية وتوراتية.

ومن المؤسف أن هذا الجهد المؤسسي التي تبذله لجنة الأسماء الجغرافية الاسرائيلية لا نجد جهداً فلسطينياً موازياً له، وهذا الواقع المحزن يثير وفقاً للباحث صندوقة (ص ٢٠١٣) عدة تساؤلات:

- ١ - أن الدول العربية يوجد لها هيئات وطنية للأسماء الجغرافية فلماذا لا يوجد لنا هيئة وطنية للأسماء الجغرافية؟.
- ٢ - لماذا لم تقم منظمة التحرير الفلسطينية بتشكيل هيئة وطنية للأسماء الجغرافية لمواجهة خطر إنتهاك يرتكب بحق الشعب الفلسطيني وهويته الوطنية؟.
- ٣ - فلسطين حتى الآن لم تدخل عضواً في شعبة الأسماء الجغرافية التابعة لجامعة الدول العربية.
- ٤ - لماذا تغيبت فلسطين عن المؤتمر الرابع للأسماء الجغرافية في العام (٢٠٠٨م) الذي عقد تحت مظلة الجامعة العربية.
- ٥ - لم ترفع السلطة الوطنية الفلسطينية أو أي جهة رسمية أخرى أية شكوى للأمم المتحدة ضد الاجراءات الاسرائيلية المتعلقة بتغيير الاسماء للمواقع والأماكن الجغرافية.

القدس في التقليد الإسلامي

١ - الرمزية الأولى التي تمثلها القدس للإسلام :

تكونت مجموعة غنية من التقاليد المتعلقة بما قاله النبي محمد " صلى الله عليه وسلم" وبما فعله .وفي بعض أحاديثه الشريفة يعبر عن القدسية الخاصة التي تتمتع بها مدينة القدس في نظر المسلمين، والمراجع والكتب والأبحاث والوثائق الاسلامية وكلها تشير الى اهمية القدس والأقصى في البعد الاسلامي. كما لعبت القدس دورا هاما في الحكايات الدنيوية. ومن الافكار الشائعة ان المسيح عليه السلام، حي و سينزل الى الارض، ويعود الى اورشليم حيث سيصلي في المسجد، ويقتل الخنازير، ويحطم كل الصلبان، ويدمر كل الكنائس، معلنا ان الاسلام وحده هو الدين الحقيقي.

قيمة المسجد الأقصى الدينية :

فلسطين عزيزة غالية على قلوب المسلمين وأعز ما فيها على نفوسهم هو "المسجد الأقصى" (٣) أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث المساجد التي تشد اليها الرحال، ومسرى الرسول محمد" ص الله عليه وسلم" "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير"(٤) والمسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني في الارض بعد المسجد الحرام، ويقع المسجد الأقصى في مدينة القدس في الطرف الشرقي نحو القبلة.

(٣) د.احمد الشوباصي، يسألونك في الدنيا والحياة، المجلد ٦، دار الجبل، بيروت طبعة ثانية، ٢٠٠٢، ص، ٦٧٩ - ٦٨٩.
(٤) سورة الاسراء آية: ١.

مكانة بيت المقدس في قلوب المسلمين

بيت المقدس "القدس" هي المدينة الوحيدة التي سار لفتحها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كذلك فقد حرص اثنان من الخلفاء الامويين على اخذ البيعة في بيت المقدس: اولهما كان معاوية بن أبي سفيان، الذي أخذ بعد الصلح بينه وبين الحسن بن علي بن أبي طالب لنفسه البيعة في الكوفة ومن ثم في "إيليا"، القدس، وثانيهما سليمان بن عبد الله الذي الى بيت المقدس وبويع فيها وكان يتقبل البيعة في مسجد الصخرة وعاش في القدس. لقد استهوت فلسطين "الكثير من الخلفاء الذين كانوا يمضون فصولا كاملة فيها، أما عمر بن عبد العزيز، فقد طلب من جميع ولاته أن يزوروا بيت المقدس ويقسموا فيها الطاعة والعدل بين الناس في مسجدها. وتشير الباحثة د. بيان نويهض الى أن الكثير من الخلفاء كانوا يمرّون في مدينة "القدس" اثر قيامهم بفريضة الحج المباركة. أما قصة الأمير صلاح الدين في قيادته لجيش المسلمين واسترداده بيت المقدس فهي الدليل على اهمية بيت المقدس ليس بحجارتها وعماراتها فقط وإنما كونها المقياس والمعيّار لسلطة الدولة وكونها الرمز العقدي والتاريخي الخالد في التراث العربي والإسلامي^(٥).

القدس في التاريخ الاسلامي

بيت المسلمون بالوقائع بأن الأرض كانت بأيدي المسلمين. عندما وصل الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب الى القدس عام ٦٣٨ م، خرج صوفرونيوس، بطريرك المسيحيين في المدينة لابسا حلته البطريركية، ليستسلم لعمر الذي كان يلبس البزة الحربية، فسلم له مفتاح المدينة والذي اصبح تقليدا فلسطينيا حتى اليوم بأن مفتاح المدينة موجود في يد مسلم من العائلات المقدسية من المسلمين. حينها أصدر أمير المؤمنين عمر أمرا ببناء مكان للصلاة في موضع المعراج.

وفي هذا المكان بنى الخليفة الاموي عبد الله قبة الصخرة سنة ٦٩١ م، فلم يكن القصد من هذا المكان مسجدا عاديا، بل ليكون محجة للمسلمين. بني المسجد الاقصى على بعد مئات أمتار الى جنوب قبة الصخرة حوالي سنة ٨١٠ م. ليحل محل المسجد الاساسي الذي بناه هناك الخليفة عمر بن الخطاب. ثمة أسماء عديدة أخرى في التاريخ الاسلامي مرتبطة بالقدس، مثل الخليفة الأموي معاوية والصحابي الجليل بلال بن رباح، المؤذن الاول الذي كان يدعو المسلمين الى الصلاة والامام الشافعي وحجة الإسلام الغزالي.

استرداد بيت المقدس من الصليبيين

نظمت حملات غربية تحت شعار حماية الاراضي المقدسة المسيحية في فلسطين، كان الهدف منها هو الأطماع الشخصية لبعض الملوك الاوروبيين للسيطرة والتوسع الجغرافي

(٥) د. بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١، ص، ١٠١ - ١٠٢.

خارج حدودهم الطبيعية متخذين من حماية المقدسات المسيحية في الشرق ذريعة تبرر بها حملاتهم الصليبية المنظمة، لذا حاصر الناصر صلاح الدين المدينة استعداداً لدخولها، وطلب حينها من المحتل الأجنبي الاستسلام تفادياً للنار وسفك الدماء، طارحاً شروطاً للإفراج يضمن لهم سلامة المواطنين جميعاً : أطفالاً وشيوخاً ونساءً لكنهم لم يستجيبوا له.

عندها بدأت معركة التحرير بقيادة الناصر والجيش الإسلامية القادمة لنصرة المدينة وتحريرها من الصليبيين مكبدين غزاتها الاجانب هزيمة كبرى ومنهياً حقبة تاريخية من الغطرسية الغربية التي عرفت بحملة تحرير مدينة القدس وإعادة الاراضي المقدسة لأصحابها الأصليين من سكان البلاد العرب "المسيحيين والمسلمين". ولا تزال اصداء حملة صلاح الدين وتحرير المدينة مرسومة في التاريخ الإسلامي المعاصر، فالمعركة أدت الى وقوع ملك الافرنج في قبضة السلطان "فكان قول الملك صلاح الدين للملك الصليبي غي دي لوزينيان" "الملك لا يقتل". وبعد الحصار المشدد على المدينة وإحكام الحصار، واقترب الجنود من اسوار المدينة، تيقن القادة الصليبيون المحاصرون من عدم جدوى المعركة وقربهم من الهزيمة، عندها بادروا بطلب الاستسلام من السلطان، الذي رفض طلبهم الاولي، فكان ردهم السريع، إذا لم يوافق الملك على خروجهم من المدينة المحاصرة فسوف يعملون على إبادة أبناء المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً مع الأسرى وحرقت الاموال وتدمير المسجد الأقصى ويقاثلون حتى آخر رمق، عندها وافق السلطان على الاستسلام مقابل فدية مادية يدفعها الصليبيون حقناً لسفك الدماء، فتوجب على كل رجل أن يدفع مبلغاً قدره عشرة دنانير عن الرجل الواحد، وخمسة دنانير عن المرأة، ودينارين عن الطفل الواحد. سمح السلطان أن ينقل الأفرنج اموالهم كلها التي كانت بحوزتهم. عندما خرجت الملكة زوجة الملك المأسور وأرسلها السلطان إلى مكان أسر زوجها مع أولادها وخدمتها وحشمها وأموالها معززة مكرمة. ولما خرج بطريك القدس ومعه الأموال الهائلة والذهب لم يأخذ السلطان منه سوى الفدية المطلوبة أي العشرة دنانير، وعندما خرج الجميع من المدينة وبقي كل الذين لا يستطيعون دفع الفدية، ما كان من الناصر إلا أن دفع الفدية عنهم جميعاً ليتمكنوا من الخروج كما أصحاب الأموال. عندها دخل السلطان المدينة وكان المسجد الأقصى كما تم وصفه مملوءاً بالأقذار^(٦)، وكان يستعمل إسطبلاً للخيول ومستودعاً للذخيرة والعتاد. تمكن صلاح الدين بعد أسبوع من دخوله المدينة من الصلاة داخل المسجد الأقصى. وهناك حادثة مهمة حصلت في أيام الصليبيين تظهر نظرة المسلمين إلى القدس^(٧). عندما أحس الصليبيون أن ميزان النصر في المعركة يميل لصالح السلطان صلاح الدين في سنة ١١٩١م. وكانوا يحاولون أن يعيدوا بسط سيطرتهم على كامل البلاد، كتب ريكاردو "قلب الأسد" رسالة إلى صلاح الدين مقترحاً فيها عليه تزويج أخته

(٦) د. بيان نويهض

الحوت، مرجع سابق، ص،

٨٧ - ٨٨.

(٧) كولن تشابمن، ارض

الميعاد لمن؟ الصراع

الفلسطيني الاسرائيلي

المستمر، العالمية للكتاب،

بيروت، ص، ٥٠٦ - ٥٠٨.

جوانا إلى شقيق صلاح الدين، المالك العادل، كما اقترح عليه أن يحكما معا كملك ومملكة على القدس، وأن تخضع فلسطين كلها للحكم المسيحي، رد صلاح الدين موضحاً أنه كمسلم يستبعد كثيراً أن تخضع الأرض لحكم مسيحي. "القدس لنا بقدر ماهي لكم، هي ائمن في نظرنا مما في نظركم، لأنها مكان معراج نبينا والموضع الذي تجتمع فيه الملائكة. لذا لا تظنوا أننا سنتخلى لكم عن المدينة، او أننا سنسمح لأنفسنا بأن نفتنع بهذا الامر، أما الأرض فهي تخصصنا في الأصل، أما أنتم فمجيتكم لتهاجمونا. اذا نجحتم في الاستيلاء عليها فهذا لأنكم جئتم على نحو غير متوقع، وذلك بسبب ضعف المسلمين الذين كانوا يحكمونها آنذاك ومهما طالت الحروب لن نسمح لكم والله بأن تضعوا حجراً واحداً على آخر في هذا البلد"^(٨).

لذا ارتبط اسم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي بفلسطين من خلال الحرب الذي خاضها لتحرير القدس ومن ثم عاش على أرضها وحكم بالعدل والحكمة فيها، بعكس حكم الافرنجي "الصليبي"^(٩).

٢- الرمزية الثانية للقدس عند العرب والمسلمين

يكتب المؤرخ زكي بدوي "إن الصليبيين هم من "حولوا القدس" مرة ثانية إلى رمز عريق للإسلام والمسلمين"^(١٠). هنا لا بد من الإشارة إلى الآراء والأبحاث والكتب والمعلومات التي يستند إليها المسلمون في المقارنة بين غزوات الصليبيين الغربيين أو الإفرنج للقدس الذين لم يكونوا في يوم من الأيام من المؤمنين المسيحيين الذين عاشوا في الشرق، لأن الصليبيين الذين قتلوا كل من صادفوه في الطريق من (اليهود والمسيحيين والمسلمين)، وبين صلاح الدين، الذي لم يقتل أحداً، بل سمح، في وقت لاحق لليهود بأن يعودوا إلى القدس.

القدس في التاريخ العربي والإسلامي

في عهد الحكم العربي والإسلامي كانت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الدولة الكبرى، وكانت لها أهميتها الخاصة في عواصم الخلافة، وخصوصاً في عهد الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين. وفي مرحلة تضعف الدولة العباسية في بغداد، خضعت فلسطين لحكم الطولونيين، فالإخشيديين، فالفاطميين، فالسلاجقة، ومن بعد هؤلاء الأيوبيين، فالماليك، وكان العهد العثماني هو العهد الأخير خلال القرن العشرين. ليس الهدف من هذا الشرح أن نسرد تاريخ فلسطين خلال ثلاثة عشر قرناً من الزمن، وإنما أن نسلط الأضواء على هذه العهود ووقوعها في قلب الحكم الإسلامي والعربي.

(٨) محمود العابدي،

"محنة بيت المقدس"، عمان
جميع عمال المطابع
التعاونية، الطبعة الثانية،
١٩٧٠، ص ٦٠.

(٩) د. بيان نويهض
الحوت، فلسطين: القضية،
الشعب، الحضارة، دار
الاستقلال للدراسات
والنشر، بيروت، ١٩٩١،
ص ١٠١-١٠٢.

(١٠) زكي بدوي، القدس
والسلام، في كرمي
(ناشره)، القدس اليوم ما
هو مستقبل عملية السلام؟
١٩٩٧، ص ١٤١.

«الصليبيون الجدد» في فلسطين

السيناريو يتكرر من جديد مع اليهود. فالأرض التي بدأ اليهود بالعودة إليها عام ١٨٨٠ لم تكن فارغة حسب ما يزعمون^(١١)، وحسب ادعائهم وشعارهم بأنها "أرض فارغة لشعب دون أرض". فهم على علم ويقين تام بأن الأرض لها سكانها التاريخيون. غير أنهم اعتقدوا بما يشبه غطرسة الاستعماريين الغربيين الجدد، أنه كان لهم الحق في الإقامة حيث يشاؤون وأنهم إنما يحملون فوائد الحضارة الغربية إلى منطقة متخلفة، والمعلوم أن هذا الشعب الفلسطيني كان متجزرا في الأرض على مدى قرون، وأن هويته مرتبطة بهذه الأرض تحديدا^(١٢). إن مجيء الصهيونية إلى فلسطين عزز القومية العربية والإسلامية. وحرص المسلمون والمسيحيين الفلسطينيين على التمسك الديني والقومي وبأن لهم الحق بالأرض التي اغتصبها الصهاينة.

٣ - الرمزية الثالثة للقدس

مرة ثالثة تتحول فلسطين والقدس رمزا وطنيا قوميا اسلاميا من خلال صراع مرير وطويل يدفع الشعب الفلسطيني ثمنه باهظا كل يوم^(١٣). يكتب الصحافي السوري نجيب الرئيس في مقالة شهيرة "لم يكن الشعب الفلسطيني ميالا للانشغال بالسياسة كما ميله اليوم" لاسيما بعد أن صدر قرار "مؤتمر سان ريمو" الذي جعل بلاد الفلسطينيين وطنا قوميا لليهود فهو اليوم أكثر الشعوب العربية انشغالا بالسياسة^(١٤). كانت فلسطين قبل الحرب العالمية لاسيما القدس مركز الحركة الأدبية كما يصفها الصحافي سركييس صاحب مجلة سركييس أننا زيارته لها يقول: "ان فلسطين عامة والقدس خاصة هي مهد الأديان ومركز الآداب والثقافة في المنطقة" باتت اليوم مسرحا تمثل عليها السياسة بأدوارها^(١٥).

القدس والانتهاكات الصهيونية

منذ الاحتلال الإسرائيلي الغاشم لفلسطين سنة ١٩٤٨ والسلطات الإسرائيلية المحتلة توغل في انتهاك حرمت الأماكن المقدسة الإسلامية والأثرية سواء المساجد أو المقابر أو المزارات، ثم تضاعف العمل العدائي الصهيوني المنظم بعد عام ١٩٦٧م. حيث أباحت السلطات الاسرائيلية دخول الشبان والشابات اليهود. ولم تكتف بذلك بل حاولت هدم الأبنية الوقفية المحيطة بالحرم تمهيدا للاستيلاء عليه وإقامة هيكلهم المزعوم. ثم أقبل العدو الصهيوني على جريمة أكبر بكثير وهي إحراق المسجد الأقصى يوم الخميس الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق الحادي والعشرون من آب/أغسطس ١٩٦٩م^(١٦). وكان اليهود أرادوا ان ينتقموا من " تيتوس" الذي هدم معبدهم من قديم الزمن في الحادي

(١١) عبد الوهاب محمد السيري، الايديولوجية الصهيونية "دراسة علم اجتماع علم المعرفة"، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٦١ - ١٩٨٣، ص، ١١٥ - ١١٤.
(١٢) د. سليمان المدني، الملف العربي في القرن العشرين (مسيرة الكفاح الفلسطيني) المجلد ٥، المنارة للإنتاج الإعلامي والفني، بيروت - دمشق، ١٩٩٨، ص، ٥٢١ - ٦٢٩.
(١٣) كولن تشابمن، أرض الميعاد لمن؟ الصراع الفلسطيني الاسرائيلي المستمر، العالمية للكتاب، بيروت، ٢٠٠٤، ص، ٥٠٣.
(١٤) نجيب الرئيس، فلسطين الصفة الخاسرة، المجلد ٨، دار الرئيس للنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص، ٢٣.
(١٥) المصدر السابق.
(١٦) Edited By Adam Parfrey, Extermi Islam, Feral, House, 2001, p 234-243.

والعشرين من آب/أغسطس عام ٧٠ م. فوجهوا انتقامهم هذا إلى المسلمين بأشخاصهم وشعائرهم، فهدموا مسجدهم الأقصى بعد الف وتسعمائة سنة من إحراق معبدهم. أحرقوا المسجد الأقصى، وأحرقوا منبر صلاح الدين الأيوبي، وأحرقوا محراب زكريا، بل وأحرقوا القبة، ودمروا بحريقهم الأثم الجانب الشرقي من المسجد العظيم، أحرقوا كل هذه الآثار المقدسة زاعمين أنهم سيقومون على أنقاضها هيكلهم المزعوم، طاشت منهم الأحلام والمفهوم. الذي يحاولون تسويقه لبناء حلم غير موجود سوى في أحلام اليقظة الصهيونية المتطرفة^(١٧).

مفتاح أنفاق الأقصى

لم تنته الانتهاكات الاسرائيلية والصهيونية ضد المعالم الاسلامية في فلسطين والقدس ومازالت فصولها تتجلى حتى اليوم في محاولة هدم البيوت في الاحياء العربية للقدس الشرقية وتهجير السكان العرب والمحاولة تكرار لطمس المعالم الاسلامية والعربية الطاغية على المدينة. يروي عمار العاروري، منسق الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس " كيف أن الاحتلال يولي اهتماما كبيرا من اجل السيطرة على حي البستان في قرية سلوان بمدينة القدس ولطرد الأهالي وتدمير البيوت بحجة عدم تراخيص في بناء المنازل التي يعود تاريخها الى فترة ١٨٧٠-١٩٢٠ م. مع العلم ان الحي يعتبر اكثر كثافة سكانية في العالم والحي الذي يبعد عن السور الجنوبي للمسجد الأقصى ما بين ٣٠٠-٤٠٠ متر، لمساحة ٧٥ ألف متر مربع. ففي داخل الحي توجد نقطة البدء لعدد من الأنفاق التاريخية والحضارية للمدينة التي استعملها سكان البلدة القديمة والمسجد الأقصى لنقل مياه الشرب من عين سلوان إلى المدينة. الاحتلال يريد الاستيلاء على مداخل الأنفاق هذه حتى يستطيع الوصول بأريحية الى أسفل المسجد الأقصى وتنفيذ مخططاته لهدمه، إن السيطرة على مفتاح أنفاق الأقصى من خلال الحفر في الأسفل ستجعل المدينة معلقة فوق شبكة من الأنفاق ما يهدد أجزاء من الحرم القدسي الشريف ومباني أخرى.

منظمة المؤتمر الاسلامي

يكتب الخبير الروسي والباحث بالشؤون الاسلامية غ. غز كوساش: "حادثة حريق المسجد الأقصى الهبت الشعور الإسلامي عامة وكانت الثورة الأولى وشرارة البركان الصاعد في الشوارع الاسلامية كردة فعل على حادثة الحريق، لقد ساهم في اشعال الغضب الاسلامي العارم في كافة البقاع الجغرافية لانتشار المسلمين، إن هذا الهيجان الشعبي الذي كان له صداه الكبير على نفوس القادة العرب والمسلمين في الوقت الذي لم يمض وقت قليل على الخسارة الكبيرة التي منيت بها المنطقة العربية من خلال العدوان

(١٧) د. احمد الشوباصي، يسألونك في الدنيا والحياة، المجلد ٧، دار الجبل، بيروت، طبعة ثانية، ٢٠٠٢، ص، ٥٨١ - ٥٩٠.

الاسرائيلي عام ١٩٦٧م وخسارة الأراضي العربية والقدس الشرقية منها في أيدي الاحتلال". كانت البلاد العربية الاسلامية تقع في نطاق نفوذ الجبارين الكبارين اثناء الحرب الباردة وتقاسم النفوذ وبناء لهذه الحادثة وتفاعل الجمهور معها ولأجل امتصاص الغضب، وبإيعاز من الملك فيصل ملك العربية السعودية والملك المغربي الحسن الثاني عقد بتاريخ ٢٢ ايلول/سبتمبر ١٩٦٩ في الرباط عاصمة المملكة المغربية أول أجتتماع لتأسيس منظمة إقليمية إسلامية اسمها منظمة المؤتمر الاسلامي وبحضور ١٩ دولة عربية وإسلامية كبرى أبرزها: السعودية وإيران وماليزيا واندونيسيا وتركيا ودول أخرى. وغيا ب دول محور التصدي والصمود وقتها "مصر والعراق وليبيا والجزائر وسوريا" الذين اعتبروا أن دعوة الملك فيصل موجهه ضدهم وبدعم غربي أميركي، ولكن مع الايام قدر لهذه المنظمة الإسلامية الصاعدة أن تلعب دورا رياديا هاما كمنظمة إقليمية تستطيع أن تلعب دورا سياسيا وإعلاميا واجتماعيا هاما في المجتمع الدولي والإسلامي والأمم المتحدة^(١٨) لتعبر عن حقوق المسلمين وترعى همومهم و مشاكلهم بغض النظر عن توزع الشعب المسلم على الخريطة الجغرافية والسياسية وينصرة قضاياها العادلة وفي القلب منها قضية القدس المحتلة وقضية الشعب الفلسطيني في حقه في الدفاع عن أرضه ومقدساته الاسلامية وتشريع تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للشعب والقضية من أجل استعادة الأرض وبناء الدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف^(١٩).

اليوم أصبحت المنظمة أكبر وأوسع انتشارا فهي تتألف من ٥٧ دولة اسلامية عضوا^(٢٠)، وثلاث دول مراقبة ذات فاعلية في المجتمع الدولي ومجلس الأمن مما يعطي للمنظمة قوة كبرى وأكثر زخماً في شرعيتها ودفاعها عن المصالح الإسلامية "كروسيا الاتحادية، والفلبين والهند".

للمنظمة نظام داخلي سجل في الامم المتحدة في ١ شباط/فبراير عام ١٩٧٤ يشرح أهداف المنظمة وقوانينها، مقرها في السعودية التي تعتبر هي الممول الأكبر للمنظمة ولها عدة لجان اهمها لجنة "الدفاع عن القدس" برئاسة الملك المغربي. تخضع المنظمة في تركيبتها الهيكلية لاجتماع كل ثلاث سنوات لرؤساء الدول وكل سنة لإجتتماع وزراء الخارجية وتعد القمم في الدولة التي تتولى الرئاسة ويجتمع القادة في اجتماع طارئ كلما دعت الحاجة.

وفي دراسة علمية عن الدعاية السياسية وكيفية توظيفها يكتب الاعلامي موكيلي: "استفاد العرب من حادثة حرق المسجد الأقصى على يد المتطرف الصهيوني "مياكل روهان" عام ١٩٦٩م. الذي أُلصقت به التهمة في عملية الحريق، واستطاعت الدعاية والإعلام الإسلامي الموجه من استخدام الحدث والترويج له، على أعلى المستويات لكي يظهرها صورة اسرائيل الحقيقية أمام الرأي العام العالمي بمظهر الدولة المتعصبة المتطرفة والعنصرية. لكن الباحث

(١٨) أصبحت منظمة المؤتمر الاسلامي عضواً مراقباً في هيئة الامم في العام ١٩٧٦م.

(١٩) لجنة القدس "وثيقة القدس"، عمان، مطابع بيت المقدس، ١٩٨٤.

(٢٠) م، ف، لومونوصوف، المنظمات الاقليمية"حدث، تطور، مجموعة مقالات باللغة الروسية، صادرة عن جامعة موسكو الوطنية، معهد بلدان اسيا وافريقيا، ٢٠٠٣، ص، ١٥٦ - ١٨٣.

في الشؤون الاعلامية والتحريض السياسي موكييلي^(٢١) لم يذكر في بحثه أن اسرائيل اتهمت الجاني بالجنون كي تخفف من وقع الحادثة بحجب الجدية عنها، وبالتالي انتفاء "نية التعصب والاضطهاد القومي".

انتفاضة الاقصى او الانتفاضة الثانية

الانتفاضة الثانية التي نشبت في ٢٨ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠٠ م. بعد زيارة قام به زعيم الليكود آنذاك، ارييل شارون، إلى الحرم الشريف من خلال تصريح مستفز للمشاعر الفلسطينية والإسلامية عامة بأن دولة اسرائيل ليس في نيتها التخلي عن مطالبتها بجبل الهيكل. بعدها تفجر الغضب الفلسطيني الناظم المعارض للزيارة والتصاريح اليهودية وبسبب هذا الاستياء العارم بدأت انتفاضة الأقصى والتي لايزال صداها حتى اليوم. إن مكانة فلسطين كبلد مقدس عند المسلمين مستعادة الى حد بعيد من الحروب الصليبية...^(٢٢) لم يحتل الصليبيون القدس وحدها... ولكنهم احتلوا كل فلسطين... ولا عجب ان ينظر العرب والمسلمون الى فلسطين كأرض مقدسة وكردة فعل على هذه المحطات العدوانية... ولقد كرر التاريخ نفسه بعد ٨٠٠ سنة إذ كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في ظل الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٨)، ومن ثم تأسيس "دولة إسرائيل" سنة ١٩٤٨ م. لم تعد مسألة فلسطين الآن، خصوصا بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس في حزيران/يونيو ١٩٦٧ مسألة محلية تخص عرب فلسطين أو عامة العرب وإنما أصبحت أيضاً همّ العالم الاسلامي ككل^(٢٣).

السؤال الذي يطرح نفسه اليوم بقوة: هل تكون هذه الانتهاكات الاسرائيلية للمقدسات الاسلامية هي بداية لانتفاضة جديدة تخرج الوضع الفلسطيني من نفق الظلمة المفرطة بسبب تعنت الدولة العبرية ونظرتها الفوقية وعدم اكتراثها لكل ما يحدث حولها من تغيرات جيو - سياسية للمنطقة والعالم ككل؟ .

كما يبقى السؤال الاكيد: متى سيحررّ العرب والمسلمون القدس وينهون احتلال العصابة التي تفرض نفسها على المدينة وأهلها بقوة مجتمع دولي متواطىء وصامت عما يجري فيها من تنكيل وبطش، وتهجير؟ وهل سيبادر الشعب الفلسطيني بكل اطيافه وكل مدنه، إلى انتفاضة فلسطينية ثالثة تختلف عن سابقتها؟

(٢١) بسام سعد، في الدعاية السياسية، تاريخ ومضمون، بيروت، ١٩٩٢، ص، ٣٧٥.

(٢٢) زكي بدوي، القدس والسلام في كرمي (ناشره)، القدس اليوم ما هو مستقبل عملية السلام ؟ ١٩٩٧، ص، ١٨ - ١٩.

٢٥ - ٢٦. (٢٣) صلاح الدين عسلي، (ناشر) القدس في التاريخ، لندن ١٩٨٩، ص، ١٧١.